وعلم آدم الأسماء

في بيان معنى الآية وفضيلة العلم والعالم والتعلم
والتعلم بالقرآن والأخبار والآثار والحكايات
والشواهد العقلية

جمعها أحمد بن أسمون الجاروني

يطلب
من المعهد الإسلامي السلفي
«هداية الطلاب»
قطوف - سمين - كديري

حقوق الطبع محفوظة

Scanned by CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الانسان مالم يعلم، علم آدم الاسماء كلها وعلم الخضر الفراسة وعلم يوسف علم التعبير وعلم داود صنعة الدرع وعلم سليمان منطق الطير وعلم عيسى علم التورة والانجيل وعلم محمدا صلى الله عليه وسلم الشرع والتوحيد، وجعل هذه العلوم اسبابا للعلو درجاتهم، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين بالعلوم وعلى آله واصحابه وتابعيهم تابعي تابعيهم الى يوم الدين ذوي العلو بالعلوم.

وبعد فهذه رسالة مسماة «بعلم آدم الاسماء في بيان معنى هذه الآية وبيان دلالتها وبيان فضيلة العلم والعالم وفضيلة التعلم والعالم من الكتاب والاخبار والآثار والحكايات وبيان نكت العلم وبيان الشواهد العقلية في فضيلة العلم.

اعلم ان الملائكة لما سألوا عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته واسكانه تعالى اياهم في الارض واخبر الله تعالى عن وجه الحكمة في ذلك على سبيل الاجمال بقوله تعالى (انى اعلم مالا تعلمون) اراد تعالى ان يزيدهم بيانا وان يفصل لهم ذلك المجمل، فبين تعالى لهم من فضل آدم عليه السلام مالم يكن من ذلك معلوما لهم، وذلك بان علم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم عليهم ليظهر بذلك كمال فضله وقصورهم عنه في العلم فيتاكد ذلك الجواب الاجمالي بهذا الجواب التفصيلي.

وعلم آدم الاسماء كلها

من الناس من قال قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) اى علمه صفات الاشياء ونعوتها وخواصها والدليل عليه ان الاسم اشتقاقه اما من السمة او من السمو، فان كان من السمة كان الاسم هو العلامة وصفات الاشياء ونعوتها وخواصها دالة على ماهياتها، فصح ان يكون المراد من الاسماء: الصفات، وان كان من السمو فكذلك لان دليل الشيء كالمرتفع على ذلك الشيء فان العلم بالدليل حاصل قبل العلم بالمدلول، فكان الدليل اسمى في الحقيقة، فثبت انه لا امتناع

Scanned by CamScanner

فى اللغة" ان يكون المراد من الاسم الصفة"، بقي ان اهل النحو خصصوا لفظ الاسم بالالفاظ المخصوصة، ولكن ذلك عرف حادث لا اعتبار به، واذا ثبت ان هذا التفسير ممكن بحسب اللغة وجب ان يكون هو المراد لاغيره، لوجوه: احدها: ان الفضيلة في معرفة حقائق الاشياء اكثر من الفضيلة" في معرفة اسمائها، وحمل الكلام المذكور لاظهار الفضيلة" على ما يوجب مزيد الفضيلة" اولى من حمله على ما ليس كذلك، وثانيها: ان التحدى انما يجوز ويحسن بما يتمكن السامع من مثله في الجملة، فان من كان عالما باللغة والفصحة" يحسن ان يقول لغير على سبيل التحدى: ائت بكلام مثل كلامي في الفصاحة"، اما العربي فلا يحسن منه ان يقول الزنجي في معرض التحدي: تكلم بلغتي، وذلك لان العقل لا طريق له الى معرفة اللغات البتة": بل ذلك لا يحصل الا بالتعليم، فان حصل التعليم، حصل العلم به والا فلا، اما العلم بحقائق الاشياء، فالعقل متمكن من تحصيله فصح وقوع التحدي فيه. القول الثاني، وهو المشهور ان المراد اسماء كل ما خلق الله من اجناس المحدثات من جميع اللغات المختلفة" التي يتكلم بها ولد آدم اليوم من العربية" والفارسية" والرومية" وغيرها، وكان ولد آدم عليه السلام يتكلمون بهذه اللغات فلما مات آدم وتفرق ولده في نواحي العالم تكلم كل واحد منهم بلغة" معينة" من تلك اللغات، فغلب عليه ذلك اللسان، فلما طالت المدة ومات منهم قرن بعد قرن نسوا سائر اللغات، فهذا هو السبب في تغير الالسنة" في ولد آدم عليه السلام. قال اهل المعاني: قوله تعالى: (وعلم آدم الاسماء) لا بد فيه من اضمار، فيحتمل ان يكون المراد وعلم آدم اسماء المسميات، ويحتمل ان يكون المراد وعلم آدم مسميات الاسماء، قالوا لكن الاول اولى لقوله تعالى (انبئوني باسماء هؤلاء) وقوله تعالى (فلما انبأهم باسمائهم) ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبأهم بهم، فان قيل: فلما علمه الله تعالى انواع جميع المسميات، وكان في المسميات ما لا يكون عاقلا. فلم قال عرضهم ولم يقل عرضها؟ قلنا لانه لما كان في جملتها الملائكة" والانس والجن وهم العقلاء، فغلب الاكمل، لانه جرت عادة العرب بتغليب الكامل على الناقص. اهـ الفخر الرازي.

Scanned by CamScanner

ثم عرضهم على الملائكة

قال الطبري ويعني جل ثناؤه بقوله « ثم عرضهم » ثم عرض اهل الاسماء على الملائكة . وقد اختلف المفسرون في تأويل قوله « ثم عرضهم على الملائكة » نحو اختلافهم في قوله « وعلم آدم الاسماء كلها » حدثنا محمد بن العلاء قال ، حدثنا عثمان بن سعيد قال حدثنا بشر بن عمارة عن ابي اوف عن الضحاك عن ابن عباس « ثم عرضهم على الملائكة » ثم عرض هذه الاسماء يعني اسماء جميع الاشياء التي علمها آدم من اصناف جميع الخلق انتهى كلام الطبري .

فقال انبئوني باسماء هؤلاء

قال الطبري قال ابو جعفر وتأويل قوله « انبئوني » اخبروني وعن مجاهد « انبئوني باسماء هؤلاء » يقول باسماء هؤلاء التي حدثت بها آدم اهـ قال الفخر الرازي من الناس من تمسك بقوله تعالى (انبئوني باسماء هؤلاء) على جواز تكليف ما لا يطاق وهو ضعيف ، لانه تعالى انما استنبأهم مع علمه تعالى بعجزهم على سبيل التبكيت ويدل على ذلك قوله تعالى (ان كنتم صادقين) إهـ

ان كنتم صادقين

ذكروا في قوله (ان كنتم صادقين) وجوهًا . احدها : معناه اعلموني اسماء هؤلاء ان علمتم انكم تكونون صادقين في ذلك الاعلام . وثانيها : معناه اخبروني ولا تقولوا الا حقا وصدقا فيكون الغرض منه التوكيد لما نبههم عليه من القصور والعجز ، لانه متى تمكن في انفسهم العلم بانهم ان اخبروا لم يكونوا صادقين ولا هم اليه سبيل علموا ان ذلك متعذر عليهم . وثالثها : ان كنتم صادقين في قولكم انه لا شيء مما يتعبد به الخلق الا وانتم تصلحون وتقومون به وهو قول ابن عباس وابن مسعود . ورابعها : ان كنتم صادقين في قولكم اني لم اخلق خلقا الا كنتم اعلم منه فاخبروني باسماء هؤلاء .

دلالة الآية

هذه الآية دالة على فضل العلم فانه سبحانه ما اظهر كمال حكمته في خلقة آدم عليه السلام الا بأن اظهر علمه فلو كان في الامكان وجود شيء من العلم اشرف من العلم لكان من الواجب اظهار فضله بذلك الشيء . لا بالعلم ، واعلم انه يدل

Scanned by CamScanner

على فضيلة العلم الكتاب والسنة والمنقول .

فضيلة العلم من الكتاب

اما الكتاب فوجوه ، الاول : ان الله تعالى سمى العلم بالحكمة ثم انه تعالى عظم امر الحكمة وذلك يدل على عظم شأن العلم ، بيان انه تعالى سمى العلم بالحكمة مايروي عن مقاتل : انه قال : تفسير الحكمة في القرآن على اربعة اوجه ، احدها : مواعظ القرآن قال في البقرة : (وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة) يعني مواعظ القرآن وفي النساء (وانزل عليكم الكتاب والحكمة) يعني المواعظ ومثلها في آل عمران . وثانيها : الحكمة بمعنى الفهم والعلم قوله تعالى (وآتيناه الحكم صبيا) وفي لقمان (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعني الفهم والعلم وفي الانعام (اولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم . وثالثها : الحكمة بمعنى النبوة في النساء (فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة) يعني النبوة وفي ص (وآتيناه الحكمة) يعني النبوة وفي البقرة (واتاه الله الملك والحكمة) ، ورابعها : القرآن في النحل (ادع الى سبيل ربك بالحكمة) وفي البقرة (ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا) وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع الى العلم ثم تفكر ان الله تعالى ما اعطى من العلم الا القليل قال (وما اوتيتم من العلم الا قليلا) وسمى الدنيا بأسرها قليلا (قل متاع الدنيا قليل) فما سماه قليلا لا يمكننا ان ندرك كميته فما ظنك بما سماه كثيرا . ثم البرهان العقلي على قلة الدنيا وكثرة الحكمة ان الدنيا متناهي القدر متناهي العدد متناهي المدة . والعلم لا نهاية لقدره ، وعدده ومدته ولا للسعادات الحاصلة منه ، وذلك ينبهك على فضيلة العلم .

الثاني : قوله تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقد فرق بين سبع نفر في كتابه فرق بين الخبيث والطيب فقال (قل هل يستوي الخبيث والطيب) يعني الحلال والحرام ، وفرق بين الاعمى والبصير فقال (قل هل يستوي الاعمى والبصير) وفرق بين النور والظلمة فقال (ام هل تستوي الظلمات والنور) وفرق بين الجنة والنار وبين الظل والحرور ، واذا تأملت وجدت كل ذلك مأخوذا من الفرق بين العالم والجاهل .

Scanned by CamScanner

والثالث ، قوله (اطيعوا الله واطيعوا الرّسول واولى الامر منكم) والمراد من اولى الامر العلماء في اصح الاقوال لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس، ثم انظر الى هذه المرتبة فانه تعالى ذكر العالم في موضعين من كتابه في المرتبة الثانية قال (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولى العلم) ، وقال (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم) ثم انه سبحانه وتعالى زاد في الاكرام فجعلهم في المرتبة الاولى في آيتين فقال تعالى (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) وقال (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) .

الرابع : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) واعلم انه تعالى ذكر الدرجات لاربعة أصناف ، اولها ، للمؤمنين من اهل بدر قال (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) الى قوله (لهم درجات عند ربهم) والثانية : للمجاهدين قال (وفضل الله المجاهدين على القاعدين) والثالثة : للصالحين قال (ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدّرجات العلى) . الرابعة : للعلماء . قال ، (والذين اوتوا العلم درجات) والله فضل اهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات وفضل المجاهدين على القاعدين بدرجات وفضل الصالحين على هؤلاء بدرجات ثم فضل العلماء على جميع الاصناف بدرجات، فوجب ان يكون العلماء افضل النّاس .

الخامس : قوله تعالى ، (انما يخشى الله من عباده العلماء) فان الله تعالى وصف العلماء في كتابه بخمس مناقب ، احدها : الايمان (والراسخون في العلم يقولون آمنا به) وثانيها : التوحيد والشهادة (شهد الله) الى قوله (واولوا العلم) وثالثها : البكاء (ويخرون للاذقان يبكون) . ورابعها : الخشوع (انّ الذين اوتوا العلم من قبله) الآية . وخامسها : الخشية (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

فضيلة العلم وفضيلة العالم من الاخبار

اما الاخبار فوجوه : احدها : روي ثابت عن انس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم « من احبّ ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب الله له بكل قدم

Scanned by CamScanner

عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وشهدت الملائكة لهم بانهم عتقاء الله من النار .

وثانيها : عن انس قال قال عليه السلام « من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم فهو كالصائم نهاره وكالقائم ليله وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير من ان يكون له ابو قبيس ذهبا فينفقه في سبيل الله .

وثالثها : عن الحسن مرفوعا « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة واحدة في الجنة » .

ورابعها : ابو موسى الاشعري مرفوعا « يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول : يا معشر العلماء اني لم اضع نوري فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم » .

وخامسها : قال عليه السلام « معلم الخير اذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الارض وحيتان البحور » .

وسادسها : أبو هريرة مرفوعا « من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى خلف نبي من الانبياء » .

وسابعها : ابن عمر مرفوعا « فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجة عدو للفرس سبعين عاما ، وذلك ان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها العالم فيزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه ولا يتعرف لها » .

وثامنها : الحسن مرفوعا قال عليه السلام « رحمة الله على خلفائي فقيل من خلفاؤك يا رسول الله ؟ قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله » .

وتاسعها : قال عليه السلام « من خرج يطلب بابا من العلم ليرد به باطلا الى حق او ضلالا الى هدى كان عمله كعبادة اربعين عاما » .

وعاشرها : قال عليه السلام لعلي حين بعثه الى اليمن « لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما تطلع عليه الشمس او تغرب » .

الحادي عشر : ابن مسعود مرفوعا « من طلب العلم ليحدث به الناس ابتغاء وجه الله اعطاه اجر سبعين نبيا » .

Scanned by CamScanner

الثّاني عشر: عامر الجهني مرفوعاً «يؤتى بمداد طالب العلم ودم الشهيد يوم القيامة لايفضل احدهما على الآخر» وفي رواية فيرجح مداد العلماء.

الثالث عشر: ابو واقد الليثي: انه عليه السّلام بينما هو جالس والناس معه اذا قبل ثلاثة نفر اما احدهم فرأي فرجة في الحلقة فجلس اليها، واما الآخر فجلس خلفهم، واما الثالث فانه رجع وفر فلما فرغ عليه السلام من كلامه قال: اخبركم عن النفر الثلاثة. اما الاول، فاوى الى الله فآواه الله، واما الثاني فاستحيا من الله فاستحيا الله منه، واما الثالث فاعرض عن الله فأعرض الله عنه» رواه مسلم.

الرابع عشر: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين متفق عليه من حديث معاوية قاله العراقي وقال القسطلاني قوله يفقهه اى يجعله فقيها في الدين والفقه لغة الفهم والحمل عليه هنا اولى من الاصطلاحي ليعم فهم كل علم من علوم الدين إهـ اتحاف السادة.

الخامس عشر: قال عليه السّلام العلماء ورثة الانبياء اخرجه ابو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث ابي الدّرداء قاله العراقي إهـ اتحاف

السّادس عشر: قال عليه السّلام الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم اخرجه الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابي الدرداء باسناد ضعيف قاله العراقي.

السّابع عشر: قال عليه السّلام افضل النّاس المؤمن العالم الذي ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه اغنى نفسه، اخرجه البيهقي في شعب الايمان موقوفا على ابي الدرداء باسناد ضعيف ولم أر مرفوعا قاله العراقي.

الثامن عشر: قال عليه السّلام اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم واهل الجهاد اما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل اخرجه ابو نعيم في فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف قاله العراقي.

التاسع عشر: قال عليه السّلام يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودم الشهداء

Scanned by CamScanner

اخرجه ابن عبد البر من حديث ابى الدرداء بسند ضعيف قاله العراقى (١)

العشرون : قال عليه السلام من تفقه فى دين الله كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب اخرجه الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدي باسناد ضعيف قاله العراقي .

الحادي والعشرون : قال عليه السلام العالم امين الله فى الارض اخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف قاله العراقي .

الثانى والعشرون : قال عليه السلام اذا اتى علىّ يوم لا ازداد فيه علما يقربنى الى الله عز وجل فلا بورك لى فى ذلك اليوم اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من رواية الحكم بن عبد الله عن الزهري عن سعيد ابن المسيب عن عائشة بسند ضعيف قاله العراقى .

قال بعض العارفين واراد بالعلم هنا علم التوحيد لا الاحكام فان الاحكام زيادة تكاليف على الامة وقد بعث صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وقال بعضهم اراد بذلك ان العارف دائم التطلع الى مواهب الحق فلا يقنع بما هو فيه وقد يكون دائم الطلب قارعا باب النفحات راجيا حصول المزيد ومواهبه تعالى لا تحصى ولا نهاية لها وهي متعلقة بكلماته التى ينفد البحر دون نفادها وتنفد الرمال دون اعدادها اهـ .

الثالث والعشرون : قال عليه الصلاة والسلام فضل العالم على العابد كفضلى على آدنى رجل من اصحابى اخرجه الترمذي من حديث ابى امامة وقال حسن صحيح قاله العراقى . قال المناوى فى تفسير الحديث الذي صدره الشيخ ما نصه اى نسبة شرف العالم الى نسبة شرف العابد كنسبة شرف الرسول الى ادنى شرف الصحابة فان المخاطبين بقوله ادناكم الصحب وقد شبهوا بالنجوم فى حديث آخر وهذا التشبيه ينبه على انه لا بد للعالم من العبادة وللعابد من العلم لان تشبيهها بالمصطفى وبالعلم يستدعى المشاركة فيما فضلوا به من العلم والعمل كيف لا والعلم مقدمة للعمل وصحة العمل متوقفة عليه ذكره الطيبي وقال الذهبى انما كان العلم افضل لان العالم اذا لم يكن عابدا فعلمه وبال عليه واما العابد بغير فقه فمع نقصه هو افضل بكثير من فقيه بلا تعبد كفقيه همته فى الشغل بالرياسة .

Scanned by CamScanner

الرابع والعشرون : قال صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء اخرجه ابن ماجه من حديث عثمان ابن عفان باسناد ضعيف قاله العراقى قدم العلماء على الشهداء لان العالم امام امة فله مثل اجور امته والشهيد عمله لنفسه .

الخامس والعشرون : قال عليه السلام ما عبد الله بشيء افضل من فقه فى دين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه اخرجه الطبرانى فى الاوسط وابو بكر الآجرى فى فضل العلم وابو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث ابى هريرة باسناد ضعيف .

السادس والعشرون : قال عليه السلام انكم اصبحتم فى زمان كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتى على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه والعلم فيه خير من العمل قال العراقى اخرجه الطبرانى من حديث حرام بن حكيم عن عمه وقيل عن ابيه واسناده ضعيف .

السابع والعشرون : قال عليه السلام يبعث الله يوم القيامة العباد ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء انى لم اضع علمى بينكم الا لعلمى بكم ولم اضع علمى فيكم لاعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم اخرجه الطبرانى من حديث ابى موسى بسند ضعيف قاله العراقى . اهـ كلام اتحاف السادة .

فضيلة العلم وفضيلة العالم من الآثار

واما الآثار فمن وجوه «أ» العالم ارأف بالتلميذ من الاب والام لان الآباء والامهات يحفظونه من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونه من نار الآخرة وشدائدها .

«ب» قيل لابن مسعود بم وجدت هذا العلم ، قال بلسان سؤول ، وقلب عقول .

«ج» قال بعضهم سل مسألة الحمقى ، واحفظ حفظ الاكياس .

«د» مصعب بن الزبير قال لابنه ، يا بني تعلم العلم فان كان لك مال كان

Scanned by CamScanner

العلم لك مالاً .

« هـ » قال علي بن ابي طالب : لاخير في الصمت عن العلم كما لاخير في الكلام عن الجهل .

« و » قال بعض المحققين : العلماء ثلاثة عالم بالله غير عالم بأمر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله ، وعالم بالله وبامر الله ، اما الاول : فهو عبد قد استولت المعرفة الالهية على قلبه فصار مستغرقا بمشاهدة نور الجلال وصفحات الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لابد منه . الثاني : هو الذي يكون عالما بأمر الله وغير عالم بالله وهو الذي عرف الحلال والحرام وحقائق الاحكام لكنه لايعرف اسرار جلال الله . اما العالم بالله وباحكام الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له ، وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة ، فاذا رجع من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم كأنه لايعرف الله واذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهذا هو المراد بقوله عليه السلام « سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء » فالمراد من قوله عليه السلام : سائل العلماء اى العلماء بامر الله غير العالمين بالله فامر بمساءلتهم عند الحاجة الى الله استفتاء منهم ، واما الحكماء العالمون بالله الذين لا يعلمون اوامر الله فأمر بمخالطتهم واما الكبراء فهم العالمون بالله وباحكام الله فأمر بمجالستهم لان في تلك المجالسة منافع الدنيا والآخرة ، ثم قال شقيق البلخي : لكل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاث علامات اما العالم بأمر الله فله ثلاث علامات ان يكون ذاكرا باللسان دون القلب ، وان يكون خائفا من الخلق دون الرب ، وان يستحي من الناس في الظاهر ولا يستحي من الله في السر ، واما العالم بالله فانه يكون ذاكرا خائفا مستحييا ، اما الذكر فذكر القلب لا ذكر اللسان ، واما الخوف فخوف الرياء لا خوف المعصية ، واما الحياء فحياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر ، واما العالم بالله وبأمر الله فله ستة اشياء الثلاثة التي ذكرناها للعالم بالله فقط مع ثلاثة اخرى كونه جالسا على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وكونه معلما للقسمين الاولين . وكونه بحيث يحتاج الفريقان الاولان اليه وهو يستغني عنهما ، ثم قال : مثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لايزيد ولاينقص ، ومثل

Scanned by CamScanner

العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص تارة اخرى ، ومثل العالم بأمر الله فقط كمثل السراج يحرق نفسه ويضئ لغيره .

« ز » قال فتح الموصلى ، اليس المريض اذا امتنع عنه الطعام والشراب والدواء يموت ؟ فكذا القلب اذا امتنع عنه العلم والفكر والحكمة يموت .

« ح » قال شقيق البلخي ، الناس يقومون من مجلسي على ثلاثة اصناف ، كافر محض ، ومنافق محض ، ومؤمن محض ، وذلك لاني افسر القرآن فأقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقني فهو كافر محض . ومن ضاق قلبه منه فهو منافق محض ، ومن ندم على ما صنع وعزم على ان لا يذنب كان مؤمنا محضا . وقال ايضا : ثلاثة من النوم يبغضها الله تعالى . وثلاثة من الضحك : النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العتمة . والنوم في الصلاة ، والنوم عند مجلس الذكر ، والضحك خلف الجنازة ، والضحك في المقابر ، والضحك في مجلس الذكر .

« ط » قال بعضهم في قوله تعالى (فاحتمل السيل زبدا رابيا) السيل ههنا العلم ، شبهه الله تعالى بالماء لخمس خصال ، احدها : كما ان المطر ينزل من السماء كذلك العلم ينزل من السماء . والثاني : كما ان اصلاح الارض بالمطر فاصلاح الخلق بالعلم ، الثالث : كما ان الزرع والنبات لا يخرج بغير المطر كذلك الاعمال والطاعات لا تخرج بغير العلم . والرابع : كما ان المطر فرع الرعد والبرق كذلك العلم فانه فرع الوعد والوعيد . الخامس : كما ان المطر نافع وضار ، كذلك العلم نافع وضار : نافع لمن عمل به ضار لمن لم يعمل به .

« ي » كم من مذكر بالله ناس لله ، وكم من مخوف بالله ، جريء على الله ، وكم من مقرب الى الله بعيد عن الله ، وكم من داع الى الله فار من الله ، وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله « يا » الدنيا بستان زينت بخمسة اشياء : علم العلماء وعدل الامراء وعبادة العباد وامانة التجار ونصيحة المحترفين . فجاء ابليس بخمسة اعلام فأقامها بجنب هذه الخمس جاء بالحسد فركزه في جنب العلم ، وجاء بالجور فركزه بجنب العدل ، وجاء بالرياء فركزه بجنب العبادة ، وجاء بالخيانة فركزها بجنب الامانة ، وجاء بالغش فركزه بجنب النصيحة « يب » فضل الحسن البصري على التابعين بخمسة اشياء ، اولها : لم يأمر احدا بشيء حتى

عمله ، والثاني لم ينه احدا عن شيء حتى انتهى عنه ، والثالث ، كل من طلب منه شيئا مما رزقه الله تعالى لم يبخل به من العلم والمال . والرابع ، كان يستغني بعلمه عن الناس ، والخامس ، كانت سريرته وعلانيته سواء . « يج » اذا اردت ان تعلم ان علمك ينفعك ام لا فاطلب من نفسك خمسة خصال ، حب الفقر لقلة المؤنة ، وحب الطاعة طلبا للثواب ، وحب الزهد في الدنيا طلبا للفراغ ، وحب الحكمة طلبا لصلاح القلب ، وحب الخلوة طلبا لمناجاة الرب « يد » اطلب خمسة في خمسة ، الاول ، اطلب العز في التواضع لا في المال والعشيرة . والثاني ، اطلب الغنى في القناعة لا في الكثرة . والثالث ، اطلب الامن في الجنة لا في الدنيا . والرابع ، اطلب الراحة في القلة لا في الكثرة . والخامس ، اطلب منفعة العلم في العمل لا في كثرة الرواية « يه » قال ابن المبارك ماجاء فساد هذه الامة الا من قبل الخواص وهم خمسة ، العلماء ، والغزاة ، والزهاد ، والتجار ، والولاة . اما العلماء فهم ورثة الانبياء ، واما الزهاد فعماد اهل الارض ، واما الغزاة فجند الله في الارض ، واما التجار فامناء الله في ارضه ، واما الولاة فهم الرعاة فاذا كان العالم للدين واضعا وللمال رافعا فبمن يقتدى الجاهل ، واذا كان الزاهد في الدنيا راغبا فبمن يقتدى التائب ، واذا كان الغازي طامعا مرائيا فكيف يظفر بالعدو . واذا كان التاجر خائنا فكيف تحصل الامانة ، واذا كان الراعي ذئبا فكيف تحصل الرعاية « يو » قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : العلم افضل من المال بسبعة اوجه ، اولها ، العلم ميراث الانبياء ، والمال ميراث الفراعنة . الثاني ، العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص ، والثالث ، يحتاج المال الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه . والرابع اذا مات الرجل يبقى ماله والعلم يدخل مع صاحبه قبره . والخامس ، المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن ، والسادس ، جميع الناس يحتاجون الى صاحب العلم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال . السابع ، العلم يقوى الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه « يز » قال الفقيه ابو الليث ، ان من يجلس عند العالم ولا يقدر ان يحفظ من ذلك العلم شيئا فله سبع كرامات اولها ، ينال فضل المتعلمين . والثاني ، مادام جالسا عنده كان محبوسا عن الذنوب . والثالث ، اذا خرج من منزله طلبا للعلم نزلت الرحمة عليه . والرابع ، اذا جلس في حلقة العلم فاذا

نزلت الرحمة عليهم حصل له منها نصيب . والخامس : مادام يكون فى الاستماع ، تكتب له طاعة . والسادس : اذا استمع ولم يفهم ضاق قلبه لحرمانه عن ادراك العلم فيصير ذلك الغم وسيلة له الى حضرة الله تعالى لقوله عزّ وجل ، « انا عند المنكسرة قلوبهم لاجلى » والسابع : يرى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق فيرد قلبه عن الفسق ويميل طبعه الى العلم فلهذا امر عليه الصّلاة والسّلام بمجالسة الصالحين « يح » قيل من العلماء من يضن بعلمه ولا يحب ان يوجد عند غيره فذاك فى الدرك الاول من النار . ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شيء من حقه غضب ، فذاك فى الدرك الثانى من النار . ومن العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لاهل الشرف واليسار لايرى الفقراء له اهلا ، فذاك فى الدرك الثالث من النار . ومن العلماء من كان معجبا بنفسه ان وعظ عنف وان وعظ انف فذاك فى الدرك الرابع من النار . ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى خطأ فذاك فى الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من يتعلم كلام المبطلين فيمزجه بالدين فهو فى الدرك السادس من النار . ومن العلماء من يطلب العلم لوجوه الناس فذاك فى الدرك السابع من النار « يط » قال الفقيه ابو الليث ، من جلس مع ثمانية اصناف من الناس زاده الله ثمانية اشياء ، من جلس مع الاغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها ومن جلس مع الفقراء جعل الله له الشكر والرضا بقسمة الله ، ومن جلس مع السلطان زاده الله القدوة والكبر ، ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة . ومن جلس مع الصبيان ازداد من اللهو والمزاح ، ومن جلس مع الفساق ازداد من الجرأة على الذنوب وتسويف التوبة ، ومن جلس مع الصالحين ازداد رغبة فى الطاعات ، ومن جلس مع العلماء ازداد العلم والورع « ي » ان الله علم سبعة نفر سبعة اشياء : « أ » علم آدم الاسماء (وعلم آدم الاسماء كلها) « ب » علم الخضر الفراسة (وعلمناه من لدنا علما) « ج » وعلم يوسف علم التعبير (رب قد آتيتني من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث) « د » علم داود صنعة الدرع (وعلمناه صنعة لبوس لكم) « هـ » علم سليمان منطق الطير (يا ايها الناس علمنا منطق الطير « و » علم عيسى عليه السّلام علم التوراة والانجيل (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل) « ز » وعلم محمدا صلى الله عليه وسلّم

الشرع والتوحيد (وعلمك مالم تكن تعلم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، الرحمن علم القرآن) فعلم آدم كان سببا له في حصول السجدة والتحية، وعلم الخضر كان سببا لان وجد تلميذا مثل موسى ويوشع عليهما السلام، وعلم يوسف كان سببا لوجدان الاهل والمملكة وعلم داود كان سببا لوجدان الرياسة والدرجة، وعلم يوسف كان سببا لوجدان بلقيس والغلبة، وعلم عيسى كان سببا لزوال التهمة عن امه وعلم محمد صلى الله عليه وسلم كان سببا لوجود الشفاعة، ثم نقول من علم اسماء المخلوقات وجد التحية من الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته اما يجد تحية الملائكة؟ بل يجد تحية الرب (سلام قولا من رب رحيم) والخضر وجد بعلم الفراسة صحبة موسى، فيا امة الحبيب بعلم الحقيقة كيف لا تجدون صحبة محمد صلى الله عليه وسلم (فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين) ويوسف بتأويل الرؤيا نجا من حبس الدنيا، فمن كان عالما بتأويل كتاب الله كيف لاينجو من حبس الشهوات (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم) وايضا فان يوسف عليه السلام ذكر منة الله على نفسه حيث قال: (وعلمتنى من تأويل الاحاديث). فأنت يا عالم اما تذكر منة الله على نفسك حيث علمك تفسير كتابه فاي نعمة اجل مما اعطاك الله حيث جعلك مفسرا لكلامه وسميا لنفسه ووارثا لنبيه وداعيا لخلقه وواعظا لعباده وسراجا لاهل بلاده وقائدا للخلق الى جنته وثوابه وزاجرا لهم عن ناره وعقابه، كما جاء في الحديث: العلماء سادة والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة.

«كا» المؤمن لايرغب في طلب العلم حتى يرى ست خصال من نفسه.

احدها: ان يقول ان الله امرني باداء الفرائض وانا لا اقدر على ادائها الا بالعلم.

الثانية: ان يقول نهاني عن المعاصي وانا لا اقدر على اجتنابها الا بالعلم.

الثالثة: انه تعالى اوجب على شكر نعمه ولا اقدر عليه الا بالعلم. والرابعة: امرني بانصاف الخلق وانا لا اقدر ان انصفهم الا بالعلم. والخامسة: ان الله امرني بالصبر على بلائه ولا اقدر عليه الا بالعلم. والسادسة: انّ الله أمرني بالعداوة مع الشيطان ولا اقدر عليها الا بالعلم «كب» طريق الجنة في ايدي اربعة: العالم والزاهد والعابد والمجاهد، فالزاهد اذا كان صادقا في دعواه يرزقه الله الامن، والعابد اذا كان صادقا في دعواه يرزقه الله الخوف، والمجاهد

اذا كان صادقا في دعواه يرزقه الله الثناء والحمد ، والعالم اذا كان صادقا في دعواه يرزقه الله الحكمة «كج» اطلب اربعة من اربعة ، من الموضع السلامة ، ومن الصاحب الكرامة ، ومن المال الفراغة [1] ، ومن العلم المنفعة ، فاذا لم تجد من الموضع السلامة فالسجن خير منه ، واذا لم تجد من صاحبك الكرامة فالكلب خير منه ، واذا لم تجد من مالك الفراغة فالمدر خير منه ، واذا لم تجد من العلم المنفعة فالموت خير منه . «كد» لا تتم اربعة اشياء الا باربعة اشياء : لا يتم الدين الا بالتقوى ، ولا يتم القول الا بالفعل ، ولا تتم المروءة الا بالتواضع ، ولا يتم العلم الا بالعمل ، فالدين بلا تقوى على الخطر ، والقول بلا فعل كالهدر ، والمروءة بلا تواضع كشجر بلا ثمر . والعلم بلا عمل كغيث بلا مطر «كه» قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لجابر بن عبد الله الانصاري : قوام الدنيا باربعة بعالم يعمل بعلمه . وجاهل لا يستنكف من تعلمه ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه . فاذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل من تعلمه واذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه فالويل لهم والثبور سبعين مرة «كو» قال الخليل : الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فهو عالم فاتبعوه ، ورجل يدري ولا يدري انه يدري فهو نائم فايقظوه ، ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فهو مسترشد فارشدوه . ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فهو شيطان فاجتنبوه «كز» اربعة لا ينبغي للشريف ان يأنف منها وان كان اميرا ، قيامه من مجلسه لابيه ، وخدمته لضيفه ، وخدمته للعالم الذي يتعلم منه ، والسؤال عما لا يعلم ممن هو اعلم منه «كح» اذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام آكلين للشبهات ، واذا صار العالم آكلا للشبهات صار العامي آكلا للحرام ، واذا صار العالم آكلا للحرام صار العامي كافرا يعني اذا استحلوا . اما الوجوه العقلية

---

(١) هكذا في الاصول ولعله يريد بالفراغة ان الانسان اذا أصاب من المال كفاية تفرغ الى تحصيل العلم واقبل على الطاعة ولكني لم اسمع الفراغة . وذلك يجعلني اميل الى انها محرفة عن القناعة . وفي الحق ان المرء اذا لم يقنع ويكتف بما عنده من مال لم يقنعه شيء ، وهذا معنى حديث ، لو كان لابن آدم واد من ذهب لتمنى ان يكون له ثان وثالث ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب » (عبد الله الصاوي) .

Scanned by CamScanner

فأمور . احدها ، ان الامور على اربعة اقسام ، قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة . وقسم ترضاه الشهوة ولا يرضاه العقل ، وقسم يرضاه العقل والشهوة معا ، وقسم لا يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة . اما الاول فهو الامراض والمكاره في الدنيا ، و اما الثاني فهو المعاصي اجمع ، واما الثالث ، فهو العلم ، واما الرابع ، فهو الجهل فينزل العلم من الجهل منزلة الجنة من النار ، فكما ان العقل والشهوة لا يرضيان بالنار فكذلك لا يرضيان بالجهل وكما انهما يرضيان بالجنة فكذا يرضيان بالعلم فمن رضي بالجهل فقد رضي بنار حاضرة ، ومن اشتغل بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة ، فكل من اختار العلم يقال له تعودت المقام في الجنة فادخل الجنة ، ومن اكتفى بالجهل يقال له تعودت النار فادخل النار ، والذي يدل على ان العلم جنة والجهل نار أن كمال اللذة في ادراك المحبوب وكمال الالم في البعد عن المحبوب ، والجراحة انما تؤلم لانها تبعد جزءاً من البدن عن جزء محبوب من تلك الاجزاء وهو الاجتماع فلما اقتضت الجراحة ازالة ذلك الاجتماع فقد اقتضت ازالة المحبوب وبعده . فلاجرم كان ذلك مؤلما والاحراق بالنار انما كان أشد ايلاما من الجرح لان الجرح لا يفيد الا تبعيد جزء معين عن جزء معين ، اما النار فانها تغوص في جميع الاجزاء فاقتضت تبعيد جميع الاجزاء بعضها عن بعض . فلما كانت التفريقات في الاحراق اشد كان الالم هناك اصعب ، اما اللذة فهي عبارة عن ادراك المحبوب ، فلذة الاكل عبارة عن ادراك تلك الطعوم الموافقة للبدن ، وكذلك لذة النظر انما تحصل لان القوة الباصرة مشتاقة الى ادراك المرئيات ، فلاجرم كان ذلك الادراك لذة لها فقد ظهر بهذا ان اللذة عبارة عن ادراك المحبوب ، والالم عبارة عن ادراك المكروه واذا عرفت هذا فنقول : كلما كان الادراك اغوص واشد المدرك اشرف واكمل ، والمدرك انقى وابقى ؛ وجب ان تكون اللذة اشرف واكمل . ولا شك ان محل العلم هو الروح وهو اشرف من البدن ولا شك ان الادراك العقلي اغوص واشرف على ما سيجيء بيانه في تفسير قوله (الله نور السموات والارض) واما المعلوم فلا شك انه اشرف لانه هو الله رب العالمين وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر والجمادات والنبات والحيوانات وجميع احكامه واوامره وتكاليفه واي معلوم اشرف من ذلك

فثبت انه لا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا شقاوة ولا نقصان فوق شقاوة الجهل ونقصانه، ومما يدل على ما قلناه انه اذا سئل الواحد منا عن مسألة علمية فان علمها وقدر على الجواب والصواب فيها فرح بذلك وابتهج به، وان جهلها نكس رأسه حياء من ذلك، وذلك يدل على ان اللذة الحاصلة بالعلم اكمل اللذات، والشقاء الحاصل بالجهل اكمل انواع الشقاء، واعلم ان ههنا وجوهًا اخر من النصوص تدل على فضيلة العلم نسينا ايرادها قبل ذلك فلا بأس ان نذكرها ههنا. الوجه الاول، ان اول ما نزل قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم) فقيل فيه انه لابد من رعاية التناسب بين الآيات فاي مناسبة بين قوله (خلق الانسان من خلق) وبين قوله (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) فأجيب عنه بان وجه المناسبة انه تعالى ذكر اول حال الانسان وهو كونه علقة. مع انها اخس الاشياء وآخر حاله وهي صيرورته عالما وهو اجل المراتب كأنه تعالى قال كنت انت في اول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف، وهذا انما يتم لو كان العلم اشرف المراتب اذ لو كان غيره اشرف لكان ذلك الشيء في هذا المقام اولى. الثاني انه قال (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم) وقد ثبت في اصول الفقه ان ترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علة فهذا يدل على انه سبحانه وتعالى انما استحق الوصف بالاكرمية لانه اعطى العلم فلولا ان العلم اشرف من غيره والا لما كانت افادته اشرف من افادة غيره. الثالث، قوله سبحانه (انما يخشى الله من عباده العلماء) وهذه الآية فيها وجوه من الدلائل على فضل العلم، احدها، دلالتها على امم من اهل الجنة وذلك لان العلماء من اهل الخشية. ومن كان من اهل الخشية كان من اهل الجنة فالعلماء من اهل الجنة وذلك لان العلماء من اهل الخشية؛ ومن كان من اهل الخشية كان من اهل الجنة فالعلماء من اهل الجنة فبيان ان العلماء من اهل الخشية قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وبيان ان اهل الخشية من اهل الجنة قوله تعالى (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار) الى قوله تعالى (ذلك لمن خشي ربه)

Scanned by CamScanner

ويدل عليه ايضا قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) ويدل عليه ايضا قوله تعالى «وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيامة» واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيامة» واعلم انه يمكن اثبات مقدمتي هذه الدلالة بالعقل، اما بيان ان العالم بالله يجب ان يخشاه. فذلك لان من لم يكن عالما بالشيء استحال ان يكون خائفا منه، ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف، بل لا بد له من العلم بامور ثلاثة. منها: العلم بالقدرة، لان الملك عالم باطلاع رعيته على فعاله القبيحة، لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعها. ومنها: العلم بكونه عالما. لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته، ولكنه يعلم انه غير عالم بسرقته فلا يخافه. ومنها العلم بكونه حكيما. فان المسخر عند السلطان عالم بكون السلطان قادرا على منعه عالما بقبائح افعاله، لكنه يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف: اما لو علم اطلاع السلطان على قبائح افعاله وعلم قدرته على منعه وعلم انه حكيم لا يرضى بسفاهته؛ صارت هذه العلوم الثلاثة موجبة لحصول الخوف في قلبه، فثبت ان خوف العبد من الله لا يحصل الا اذا علم بكونه تعالى عالما بجميع المعلومات، قادرا على كل المقدورات، غير راض بالمنكرات والمحرمات، فثبت ان الخوف من لوازم العلم بالله، وانما قلنا: ان الخوف سبب الفوز بالجنة، وذلك لانه اذا سنح للعبد لذة عاجلة وكانت تلك اللذة على خلاف امر الله، وفعل ذلك الشيء يكون مشتملا على منفعة ومضرة، فصريح العقل حاكم بترجيح الجانب الراجح على الجانب المرجوح، فاذا علم بنور الايمان ان اللذة العاجلة حقيرة في مقابلة الالم الآجل، صار ذلك الايمان سببا لفراره عن تلك اللذة العاجلة، وذلك هو الخشية، واذا صار تاركا للمحظور فاعلا للواجب كان من اهل الثواب، فقد ثبت بالشواهد النقلية والعقلية ان العالم بالله خائف والخائف من اهل الجنة. وثانيها: ان ظاهر الآية يدل على انه ليس للجنة اهل الا العلماء، وذلك لان كلمة انما للحصر، فهذا يدل على ان خشية الله لا تحصل الا للعلماء. والآية الثانية وهي قوله (ذلك لمن خشي ربه) دالة على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشية ينافي

كونها لغيرهم ، فدل مجموع الآيتين على انه ليس للجنة اهل الا العلماء واعلم ان هذه الآية فيها تخويف شديد ، وذلك لانه ثبت ان الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله ، فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله ، وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو الذي يورث الخشية ، وان انواع المجادلات وان دقت وغمضت اذا خلت عن افادة الخشية كانت من العلم المذموم. وثالثها : قرئ (انما يخشى الله من عباده العلماء) برفع الاول ونصب الثاني ، ومعنى هذه القراءة ، انه تعالى لو جازت الخشية عليه ، لما خشي العلماء ، لانهم هم الذين يميزون بين مايجوز وبين مالا يجوز . واما الجاهل الذي لا يميز بين هذين البابين فأي مبالاة به واي التفات اليه ، ففي هذه القراءة نهاية المنصب للعلماء والتعظيم . الرابع ، قوله تعالى : (وقل ربي زدني علما) . وفيه ادل دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته وفرط محبة الله تعالى اياه ، حيث امر نبيه بالازدياد منه خاصة دون غيره . وقال قتادة : لو اكتفى احد من العلم لاكتفى نبي الله موسى عليه السلام ولم يقل : (هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا) . الخامس : كان لسليمان عليه السلام من ملك الدنيا ما كان حتى انه (قال رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي) ثم انه لم يفتخر بالمملكة وافتخر بالعلم حيث قال (يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء) فافتخر بكونه عالما بمنطق الطير فاذا حسن من سليمان ان يفتخر بذلك العلم فلان يحسن بالمؤمن ان يفتخر بمعرفة رب العالمين كان احسن ولانه قدم ذلك على قوله (واوتينا من كل شيء) وايضا فانه تعالى لما ذكر كمال حالهم قدم العلم اولا وقال (وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث) الى قوله (وكلا آتينا حكما وعلما) ثم انه تعالى ذكر بعد ذلك ما يتعلق باحوال الدنيا فدل على ان العلم اشرف . السادس قال بعضهم الهدهد مع انه في نهاية الضعف ومع انه كان في موقف المعاتبة قال لسليمان (احطت بما لم تحط به) فلولا ان العلم اشرف الاشياء والا فمن اين للهدهد ان يتكلم في مجلس سليمان بمثل هذا الكلام ولذلك يرى الرجل الساقط اذا تعلم العلم صار نافذ القول عند السلاطين وما ذاك الا ببركة العلم ، السابع ، قال عليه الصلاة والسلام

« تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة » وفي التفصيل وجهان . احدهما ، ان التفكر يوصلك الى الله تعالى والعبادة توصلك الى ثواب الله تعالى والذي يوصلك الى الله خير مما يوصلك الى غير الله . والثاني ان التفكر عمل القلب والطاعة عمل الجوارح ، والقلب اشرف من الجوارح فكان عمل القلب اشرف من عمل الجوارح والذي يؤكد هذا الوجه قوله تعالى (واقم الصلاة لذكرى) جعل الصلاة وسيلة الى ذكر القلب والمقصود اشرف من الوسيلة" فدل ذلك على ان العلم اشرف من غيره . الثامن ، قال تعالى ، (وعلمك مالم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيما) فسمى العلم عظيما وسمى الحكمة "خيرا كثيرا فالحكمة هي العلم وقال ايضا (الرحمن علم القرآن) فجعل هذه النعمة مقدمة" على جميع النعم ، فدل على انه أفضل من غيره . التاسع ، ان سائر كتب الله ناطقة "بفضل العلم . اما التوراة فقال تعالى لموسى عليه السلام (عظم الحكمة فاني لا اجعل الحكمة في قلب عبد الا وأردت ان اغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم ابذلها كي تنال بها كرامتي في الدنيا والآخرة » واما الزبور فقال سبحانه وتعالى « يا داود قل لاحبار بني اسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الاتقياء فان لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء فان لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء فان التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في احد من خلقي وانا اريد اهلاكه » واقول انما قدم الله تعالى التقى على العلم لان التقى لا يوجد بدون العلم كما بينا ان الخشية لا تحصل الا مع العلم والموصوف بالامرين اشرف من الموصوف بامر واحد ، وهذا السر ايضا قدم العالم على العاقل لان العالم لابد وان يكون عاقلا ، اما العاقل فقد لا يكون عالما فالعقل كالبذر والعلم كالشجرة والتقوى كالثمر ، واما الانجيل قال الله تعالى في السورة السابعة عشر منه (ويل لمن سمع بالعلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال الى النار اطلبوا العلم وتعلموه فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم وان لم يرفعكم لم يضعكم وان لم يغنكم لم يفقركم وان لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف ان نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجوا ان نعلم فنعلم » والعلم شفيع لصاحبه وحق على الله تعالى ان لا يخزيه ، ان الله تعالى يقول يوم القيامة" ، « يا معاشر العلماء ما ظنكم بربكم ؟ ظننا ان يرحمنا ويغفر لنا ، فيقول ، فاني قد فعلت ، اني قد استودعتكم حكمتي لا لشر اردته بكم ،

Scanned by CamScanner

فادخلوا في صالح عبادي الى جنتي برحمتي » وقال مقاتل بن سليمان وجدت في الانجيل . ان الله قال لعيسى بن مريم عليهما السلام ، يا عيسى عظم العلماء واعرف فضلهم لاني فضلتهم على جميع خلقي الا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب ، وكفضل الآخرة على الدنيا ، وكفضلي على كل شيء .

فضيلة التعلم وفضيلة العالم من الاخبار

اما الاخبار ، « أ » عن عبد الله بن عمر قال قال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى للعلماء « اني لم اضع علمي فيكم وانا اريد ان اعذبكم ادخلوا الجنة على ما كان منكم » .

« ب » قال ابو هريرة وابن عباس ، خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة بليغة قبل وفاته وهي آخر خطبة خطبها بالمدينة فقال « من تعلم العلم وتواضع في العلم وعلمه عباد الله يريد ما عند الله . لم يكن في الجنة افضل ثوابا منه ولا اعظم منزلة ، ولم يكن في الجنة منزلة ولا درجة رفيعة نفيسة الا كان له فيها اوفر النصيب وشرف المنازل .

« ج » ابن عمر مرفوعا اذا كان يوم القيامة صفت منابر من ذهب عليها قباب من فضة منضدة بالدر والياقوت والزمرد جلالها السندس والاستبرق ، ثم ينادي منادي الرحمن : اين من حمل الى امة محمد علما يريد به وجه الله : اجلسوا على هذه المنابر . فلا خوف عليكم حتى تدخلوا الجنة .

« د » عن عيسى بن مريم عليهما السلام : ان امة محمد عليه الصلاة والسلام علماء حكماء كأنهم من الفقه انبياء ، يرضون من الله باليسير من الرزق ، ويرضى الله منهم باليسير من العمل ، ويدخلون الجنة بلا اله الا الله .

« هـ » قال عليه السلام « من اغبرت قدماه في طلب العلم ، حرم الله جسده على النار ، واستغفر له ملكاه وان مات في طلبه مات شهيدا ، وكان قبره روضة من رياض الجنة ، ويوسع له في قبره مد بصره ، وينور على جيرانه اربعين قبرا عن يمينه . واربعين قبرا عن يساره ، واربعين عن خلفه ، واربعين امامه ، ونوم العالم عبادة ، ومذاكراته تسبيح ، ونفسه صدقة ، وكل قطرة نزلت من عينيه تطفئ بحرا من جهنم فمن اهان العالم فقد اهان العلم ، ومن

Scanned by CamScanner

اهان العلم فقد اهان النبي ، ومن اهان النبي فقد اهان جبرائيل، ومن اهان جبريل اهان الله . ومن اهان الله اهانه يوم القيامة .

« و » قال عليه الصلاة والسلام : « الا اخبركم باجود الاجواد . قالوا نعم يارسول الله قال الله تعالى ، اجود الاجواد انا اجود ولد آدم ، واجودهم من بعدي رجل عالم ينشر علمه فيبعث يوم القيامة امة وحده ورجل جاهد في سبيل الله حتى يقتل » .

« ز » عن ابي هريرة مرفوعًا « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، والله تعالى في عون العبد ، مادام العبد في عون اخيه ، ومن سلك طريقا يبتغي به علما سهل الله له طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم في الصحيح .

« ح » قال عليه الصلاة والسلام « يشفع يوم القيامة ثلاثة ، الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء » . قال الراوي ، فاعظم مرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة .

« ط » معاذ بن جبل قال عليه الصلاة والسلام « تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه صدقة ، وبذله لاهله قربة » لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنة وانيس من الوحشة والصاحب في الوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء ، والدين عند الاختلاف يرفع الله به اقوامًا فيجعلهم في الخير قادة هداة يهتدي بهم ، وائمة بالخير يقتفى بآثارهم ويقتدى بافعالهم ، وينتهى الى آرائهم ترغب الملائكة في خلقتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلاتها تستغفر لهم حتى كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها . لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاحرار ومجالس الملوك والدرجات العلى في الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله ويعبد وبه يمجد

Scanned by CamScanner

ويوحد وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام .

«ي» ابوهريرة قال عليه الصلاة والسلام «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية ، اوعلم ينتفع به ، اوولد صالح يدعوله بالخير . «يا» قال عليه الصلاة والسلام «اذا سألتم الحوائج فاسألوها الناس قيل يارسول الله ومن الناس ؟ قال اهل القرآن قيل ثم من ؟ قال اهل العلم قيل ثم من ؟ قال الصباح الوجوه» قال الراوى والمراد باهل القرآن من يحفظ معانيه «يب» قال عليه الصلاة والسلام «من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله والدنيا سم الله القتال لعباده فخذوا منها بقدر السم فى الادوية لعلكم تنجون» قال الراوي والعلماء داخلون فيه لانهم يقولون هذا حرام فاجتنبوه وهذا حلال فخذوه «يج» فى الخبر : العالم نبي لم يوح اليه «يد» قال عليه الصلاة والسلام «كن عالما ، اومتعلما ، اومستمعا ، اومحبا ، ولا تكن الخامس فتهلك» قال الراوى : وجه التوفيق بين هذه الرواية وبين الرواية الاخرى وهي قوله عليه الصلاة والسلام «الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر الناس همج لاخير فيهم» ان المستمع والمحب بمنزلة المتعلم وما احسن قول بعض الاعراب لولده : كن سبعا خالسا اوذئبا خانسا اوكلبا حارسا ، واياك وان تكون انسانا ناقصا «يه» قال عليه الصلاة والسلام «من اتكأ على يده عالم كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ومن قبل رأس عالم كتب الله بكل شعرة حسنة» «يو» قال عليه الصلاة والسلام بروايه ابى هريرة «بكت السموات السبع ومن فيهن ومن عليهن والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن لعزيز ذل وغني افتقر وعالم يلعب به الجهال» «يز» وقال عليه السلام «حملة القرآن عرفاء اهل الجنة والشهداء قواد اهل الجنة والانبياء سادة اهل الجنة» «يح» وقال عليه السلام «العلماء مفاتيح الجنة وخلفاء الانبياء» قال الراوي الانسان لايكون مفتاحا انما المعنى ان عندهم من العلم مفتاح الجنان والدليل عليه ان من رأى فى النوم ان بيده مفاتيح الجنة فانه يؤتى علما فى الدين . «يط» وقال عليه الصلاة والسلام «ان لله تعالى فى كل يوم وليلة الف رحمة على جميع خلقه الغافلين والبالغين وغير البالغين ، فتسعمائة وتسعة وتسعون رحمة للعلماء وطالبي العلم والمسلمين ، والرحمة الواحدة لسائر الناس»

Scanned by CamScanner

«ك» وقال عليه الصّلاة والسّلام «قلت ياجبريل اي الاعمال افضل لامتي؟ قال العلم، قلت ثم اي؟ قال النظر الى العالم، قلت ثم اي؟ قال زيارة العالم، ثم قال ومن كسب العلم لله واراد به صلاح نفسه وصلاح المسلمين، ولم يرد به عرضا من الدنيا، فأنا كفيله بالجنة» «كا» وقال عليه الصّلاة والسّلام «عشرة تستجاب لهم الدعوة العالم والمتعلم وصاحب حسن الخلق والمريض واليتيم والغازى والحاج والناصح للمسين والولد المطيع لابويه والمرأة المطيعة لزوجها» «كب» سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما العلم؟ فقال دليل العمل قيل فما العقل؟ قال قائد الخير؛ قيل فما الهوى؟ قال مركب المعاصي؛ قيل فما المال؟ قال رداء المتكبرين. قيل فما الدنيا؟ قال سوق الآخرة». «كج» انه عليه الصّلاة والسّلام كان يحدث انسانا فأوحى الله اليه انه لم يبق من عمر هذا الرجل الذي تحدثه الاساعة، وكان هذا وقت العصر، فأخبره الرسول بذلك فاضطرب الرجل وقال: يارسول الله دلني على اوفق عمل لي فى هذه الساعة، قال اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم، وقبض قبل المغرب. قال الراوي: فلوكان شيء افضل من العلم، لامره النبي صلى الله عليه وسلم به فى ذلك الوقت. «كد» قال عليه الصّلاة والسلام والناس كلهم موتى الا العالمون، والخبر مشهور «كه» عن انس قال عليه الصّلاة والسّلام «سبعة للعبد تجري بعد موته: من علم علما او اجرى نهرا او حفر بئرا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا صالحا يدعوله بالخير او صدقة تجرى له بعد موته» فقدم عليه الصلاة والسّلام التعليم على جميع الانتفاعات لانه روحاني والروحاني ابقى من الجسمانيات «كو» قال عليه الصلاة والسّلام «لا تجالسوا العلماء الا اذا دعوكم من خمس الى خمس: من الشك الى اليقين ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد» «كز» اوصى النبي صلى الله عليه وسلم الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال ياعلى احفظ التوحيد فانه رأس مالي والزم العمل فانه حرفتي، واقم الصلاة فانها قرة عيني، واذكر الرب فانه بصيرة فؤادى، واستعمل العلم فانه ميراثي. «كح» ابو كبشة الانصاري قال ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا مثل اربعة رهط رجل آتاه الله علما وآتاه مالاً فهو يعمل بعلمه في ماله، ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالاً

Scanned by CamScanner

فيقول لو ان الله تعالى اتاني مثل ما اوتي لفعلت فيه مثل ما يفعل فلان فهما في الاجر سواء، ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علما فهو يمنعه من الحق وينفقه في الباطل، ورجل لم يؤته الله علما ولم يؤته مالاً فيقول: لو ان الله تعالى آتاني مثل ما اوتي فلان لفعلت فيه مثل ما يفعل فلان فهما في الوزر سواء.

فضيلة التعلم وفضيلة العالم من الاثار

«أ» كميل بن زياد قال اخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بيدي فأخرجني الى الجبانة فلما اصحر تنفس الصعداء ثم قال يا كميل بن زياد ان هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ ما اقول لك: الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا الى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، والعلم يحرسك وانت تحرس المال والمال تنقصه النفقة، والعلم يزكو بالانفاق، وصنيع المال يزول بزواله، يا كميل معرفة العلم زين يزان به يكتسب به الانسان الطاعة في حياته، وجميل الاحدوثة بعد وفاته، والعلم حاكم، والمال محكوم عليه.

«ب» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبل تهامة فاذا سمع العلم وخاف واسترجع على ذنوبه انصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله لم يخلق تربة على وجه الارض اكرم من مجالس العلماء.

«ج» عن ابن عباس خير سليمان بين الملك والمال وبين العلم فاختار العلم فاعطي العلم والملك معًا.

«د» سليمان لم يحتج الى الهدهد الا لعلمه لما روي عن نافع بن الازرق قال لابن عباس كيف اختار سليمان الهدهد لطلب الماء قال ابن عباس لان الارض كالزجاجة يرى باطنها من ظاهرها فقال نافع فكيف باوقات الفخ يغطى له بأصبع من تراب فلا يراه بل يقع فيه فقال ابن عباس اذا جاء القدر عمي البصر.

«هـ» قال ابو سعيد الخدري تقسم الجنة على عشرة آلاف جزء تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعون منها للذين عقلوا عن الله امره فكان هذا ثوابهم على قدر ما قسم الله لهم من العقول يقتسمون المنازل فيها وجزء للمؤمنين

Scanned by CamScanner

الضعفاء الفقراء الصالحين .

« و » قال ابن عباس لولده يا بني عليك بالادب فانه دليل على المروءة وانس في الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغني عند العدم ورفعه للخسيس وكمال للشريف وجلالة للملك .

« ز » عن الحسن البصري ، صرير قلم العلماء تسبيح وكتابة العلم والنظر فيه عبادة واذا اصاب من ذلك المداد ثوبه فكانما اصابه دم الشهداء واذا قطر منها على الارض تلألأ نوره ، واذا قام من قبره نظر اليه اهل الجمع فيقال هذا عبد من عباد الله اكرمه الله وحشر مع الانبياء عليهم السلام .

« ح » في كتاب كليلة ودمنة ، احق من لا يستخف بحقوقهم ثلاثة ، العالم والسلطان والاخوان فان من استخف بالعالم اهلك دينه ومن استخف بالسلطان اهلك دنياه ومن استخف بالاخوان اهلك مروءته .

« ط » قال سقراط من فضيلة العلم انك لا تقدر على ان يخدمك فيه احد كما تجد من يخدمك في سائر الاشياء بل تخدمه بنفسك ولا يقدر احد على سلبه عنك .

« ي » قيل لبعض الحكماء لا تنظر فاغمض عينه ، فقيل لا تسمع فسد اذنيه ، فقيل لا تتكلم فوضع يده على فيه ، فقيل له لا تعلم فقال لا اقدر عليه « يا » اذا كان السارق عالما لا تقطع يده لانه يقول كان المال وديعة لي وكذا الشارب يقول حسبته خلا وكذا الزاني يقول تزوجتها فانه لا يحد « يب » قال بعضهم احيوا قلوب اخوانكم ببصائر بيانكم كما تحيون الموات بالنبات والنواة ، فان نفسا تبعد من الشهوات والشبهات افضل من ارض تصلح للنبات . قال الشاعر :

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ⁂ واجسامهم قبل القبور قبور
وان امرأ لم يحي بالعلم ميت ⁂ وليس له حتى النشور نشور

نكت العلم

واما النكت فمن وجوه « أ » المعصية عند الجهل لا يرجى زوالها وعند الشهوة يرجى زوالها ، انظر الى زلة آدم فانه بعلمه استغفر والشيطان غوى وبقي في غيه

Scanned by CamScanner

ابدا لان ذلك كان بسبب الجهل .

«ب» ان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسأل ربه عن ذلك فقال له جبريل انّ ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه يوسف فى اسوإ الاحوال فقال لجبريل انه كيف يصلح لهذا العمل مع سوء حاله فقال جبريل ان ربك عينه لذلك لانه كان ذب عنك حيث قال (ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) والنكتة ان الذي ذب عن يوسف عليه السلام استحق الشركة فى مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم كيف لا يستحق من الله الاحسان والتحسين .

«ج» اراد واحد خدمة ملك فقال الملك اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتى فلما شرع فى التعلم وذاق لذة العلم بعث الملك اليه وقال اترك التعلم فقد صرت اهلا لخدمتى فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم ترنى اهلا لخدمتك وحين رأيتنى اهلا لخدمتك رأيت نفسي اهلا لخدمة الله تعالى وذلك انى كنت اظن ان الباب بابك لجهلي والآن علمت ان الباب باب الرد .

«د» تحصيل العلم انما يصعب عليك لفرط حبك الدنيا لانه تعالى اعطاك سواد العين وسويداء القلب ولا شك ان السواد اكبر من السويداء فى اللفظ لان السويداء تصغير السواد ثم اذا وضعت على سواد عينك جزءًا من الدنيا لا ترى شيئًا فكيف اذا وضعت على السويداء كل الدنيا كيف ترى بقلبك شيئًا .

«هـ» قال حكيم ، القلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فاذا قوي بالمدارسة فهو محتجب واظهاره بالمناظرة واذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم ونتاجه بالعمل فاذا زوج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا ابديا لا آخر له .

«و» (قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم) الى قوله (وهم لا يشعرون) كانت رياسة تلك النملة على غيرها لم تكن الا بسبب انها علمت مسألة واحدة وهي قوله تعالى (وهم لا يشعرون) كانها قالت ان سليمان معصوم والمعصوم لا يجوز منه ايذاء البرىء عن الجرم ولكنه لو حطمكم فانما يصدر ذلك منه على سبيل السهو لانه لا يعلم حالكم فقوله تعالى (وهم لا يشعرون) اشارة الى تنزيه الانبياء

Scanned by CamScanner

عليهم السلام عن المعصية فتلك النملة لما علمت هذه المسألة الواحدة استحقت الرياسة التامة فمن علم حقائق الاشياء من الموجودات والمعدومات كيف لا يستوجب الرياسة فى الدنيا والدين .

« ز » الكلب اذا تعلم وارسله المالك على اسم الله تعالى صار صيده النجس طاهرا والنكتة ان العلم هناك انضم الى الكلب فصار النجس ببركة العلم طاهرا ، فههنا النفس والروح طاهرتان فى اصل الفطرة الا انهما تلوثتا باقذار المعصية ثم انضم اليهما العلم بالله وبصفاته فنرجوا من عميم لطفه ان يقلب النجس طاهرا ههنا والمردود مقبولا .

« ح » القلب رئيس الاعضاء ثم تلك الرياسة ليست للقوة فان العظم اقوى منه ولا للعظم فان الفخذ اعظم منه ولا للحدة فان الظفر احد منه وانما تلك الرياسة بسبب العلم فدل على ان العلم اشرف الصفات .

الحكايات التى تتعلق بفضيلة العلم والعالم

اما الحكايات : « أ » حكى ان هارون الرشيد كان معه فقهاء وكان فيهم ابو يوسف فأتى برجل فادعى عليه آخر انه اخذ من بيته مالا بالليل فأقر الآخذ بذلك فى المجلس فاتفق الفقهاء على انه تقطع يده . فقال ابو يوسف : لا قطع عليه ، قالوا لم ؟ قال لانه اقر بالاخذ والاخذ لا يوجب القطع بل لابد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل فى قوله ، ثم قالوا للآخذ اسرقتها ؟ قال نعم ، فاجمعوا كلهم على انه وجب القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف ، لا قطع لانه وان اقر بالسرقة لكن بعد ما وجب الضمان عليه باقراره بالاخذ فاذا اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه فلا يسمع اقراره فتعجب الكل من ذلك .

« ب » عن الشعبى كنت عند الحجاج فأتى بيحيى بن يعمر فقيه خراسان من بلخ مكبلا بالحديد فقال له الحجاج انت زعمت ان الحسن والحسين من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بلى فقال الحجاج لتأتينى بها واضحة بينة من كتاب الله او لاقطعنك عضوا عضوا فقال آتيك بها واضحة بينة من كتاب الله يا حجاج قال فتعجبت من جرأته بقوله يا حجاج فقال له ولا تأتني بهذه الآية (ندع ابناءنا وابناءكم) فقال آتيك بها واضحة من كتاب الله وهو قوله

(ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان) الى قوله (وزكريا ويحيى وعيسى) فمن كان ابو عيسى وقد الحق بذرية نوح ؟ قال فاطرق مليا ثم رفع رأسه فقال كانى لم اقرأ هذه الاية من كتاب الله حلوا وثاقه واعطوه من المال كذا .

« ج » يحكى ان جماعة من اهل المدينة جاءوا الى ابى حنيفة ليناظروه فى القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكننى مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الي اعلمكم لاناظره فأشاروا الى واحد فقال هذا اعلمكم ؟ قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة معكم ؟ قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم ؟ قالوا نعم قال وان ناظرته والزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة ؟ قالوا نعم قال كيف ؟ قالوا لانا رضينا به اماما فكان قوله قولا لنا قال ابو حنيفة فنحن لما اخترنا الامام فى الصلاة كانت قراءته قراءة لنا وهو ينوب عنا فأقروا له بالالزام .

« د » هجا الفرزدق واحدا[1] فقال :

لقد ضاع شعري على بابكم ❊ كما ضاع درعى على خالصة

وكانت خالصة معشوقة سليمان بن عبد الملك وكانت ظريفة صاحبة ادب وكانت هيبة سليمان ابن عبد الملك تفوق هيبة المروانيين فلما بلغها هذا البيت شق عليها فدخلت على سليمان وشكت الفرزدق فأمر سليمان باشخاص الفرزدق على افظع الوجوه مكبلا مقيدا فلما حضر وما كان به من الرمق الا مقدار ما يقيمه على الرجل من شدة الهيبة فقال له سليمان بن عبد الملك ، انت القائل

لقد ضاع شعري على بابكم ❊ كما ضاع درعى على خالصة ؟

فقال ما قلته هكذا وانما غيره على من اراد بى مكروها وانما قلت ، وخالصة من وراء الستر تسمع :

لقد ضاء شعري على بابكم ❊ كما ضاء درعى على خالصة

فسرى عن خالصة فلم تملك نفسها ان خرجت من الستر فالقت على الفرزدق ما كان عليها من الحلى وهي زيادة على الف الف درهم فاتبعه سليمان بن عبد الملك

(١) الخبر يروى فى كتب الادب بصورة اخرى لابى نواس يقوله فى الرشيد وخالصة جاريته ويقال فى هذا البيت انه بيت قلعت عيناه فأبصر .

حاجبه لما خرج من عنده حتى اشترى الحلى من الفرزدق بمائة الف ورده على خالصة .

«هـ» دعا المنصور اباحنيفة يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا امير المؤمنين هذا يعنى اباحنيفة يخالف جدك حيث يقول ، الاستثناء المنفصل جائز وابوحنيفة ينكره فقال ابوحنيفة هذا الربيع يقول ليس لك بيعة فى رقبة الناس فقال كيف ؟ قال انهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون الى منازلهم فيستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال ، اياك يا ربيع واباحنيفة فلما خرج فقال الربيع يا اباحنيفة سعيت فى دمى فقال ابوحنيفة كنت المبادي وانا المدافع . ويحكى ان مسلما قتل ذميا عمدا فحكم ابو يوسف بقتل المسلم به فبلغ زبيدة ذلك فبعثت الى ابى يوسف فقالت اياك وان تقتل المسلم وكانت فى عناية عظيمة بأمر المسلمين فلما حضرا بو يوسف وحضر الفقهاء وجيء باولياء الذمي والمسلم فقال له الرشيد احكم بقتله فقال يا امير المؤمنين هو مذهبي غير انى لست اقتل المسلم به حتى تقوم البينة العادلة ان الذمى يوم قتله المسلم كان ممن يؤدى الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه .

«ز» دخل الغضبان على الحجاج بعد ما قال لعدوه عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فقال له ما جواب السلام عليك؟ فقال وعليكم السلام ثم فطن الحجاج . وقال قاتلك الله يا غضبان ، اخذت لنفسك امانا بردى عليك اما والله لولا الوفاء والكرم ، لما شربت الماء البارد بعد ساعتك هذه . فانظر الى فائدة العلم فى هذه الصورة فلله رد العلم ومن به تردى ، وتعسا للجهل ومن فى اوديته تردى .

«ح» بلغ عبد الملك ابن مروان قول الشاعر :

ومنا سويد والبطين وقعنب ⁂ ومنا امير المؤمنين شبيب

فأمر به فادخل عليه ، فقال انت القائل ومنا امير المؤمنين شبيب ؟ فقال انما قلت ومنا امير المؤمنين شبيب ، بنصب الراء فناديتك واستخفت بك ، فسرى عن عبد الملك وتخلص الرجل من الهلاك بصنعة يسيرة عملها بعلمه ، وهو انه حول الضمة فتحة .

Scanned by CamScanner

«ط» قال ابو مسلم صاحب الدولة لسليمان بن كثير ، بلغني انك كنت في مجلس وقد جرى بين يديك ذكري ، فقلت اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه ، فقال نعم قلته ، ولكن في كرم كذا لما نظرت الى الخصرم فاستحسن قوله ، وعفا عنه .

«ي» قال رجل لابي حنيفة ، اني حلفت لا اكلم امرأتي حتى تكلمني وحلفت بصدقة ما تملك ان لا تكلمني او اكلمها فتحير الفقهاء فيه فقال سفيان من كلم صاحبه حنث فقال ابو حنيفة اذهب وكلمها ولا حنث عليكما . فذهب الى سفيان واخبره بما قال ابو حنيفة ، فذهب سفيان الى ابي حنيفة مغضبا وقال : تبيح الفروج ! فقال ابو حنيفة ، وما ذاك ؟ قال سفيان ، اعيد واعلى أبي حنيفة السؤال ، فأعادوا واعاد ابو حنيفة الفتوى . فقال من اين قلت ؟ قال ، لما شافهته باليمين بعد ما حلف كانت مكلمة فسقطت يمينه ، وان كلمها فلا حنث عليه ولا عليها ؛ لانه قد كلمها بعد اليمين فسقطت اليمين عنهما . قال سفيان ، انه ليكشف لك من العلم عن شيء كلنا عنه غافل . «يا» دخل اللصوص على رجل فاخذوا متاعه واستحلفوه بالطلاق ثلاثا ان لا يعلم احدا ، فاصبح الرجل وهو يرى اللصوص يبيعون متاعه وليس يقدر ان يتكلم من اجل يمينه ، فجاء الرجل يشاور ابا حنيفة فقال احضر لي امام مسجدك واهل محلتك فاحضرهم اياه ، فقال لهم ابو حنيفة . هل تحبون ان يرد الله على هذا متاعه ؟ قالوا نعم ، قال فاجمعوا كلا منهم وادخلوهم في دار ثم اخرجوهم واحدا واحدا ، وقولوا اهذا لصك ؟ فان كان ليس بلصه قال لا ، وان كان لصه فليسكت ، واذا سكت فاقبضوا عليه ، ففعلوا ما امرهم به ابو حنيفة ، فرد الله عليه جميع ما سرق منه «يب» كان في جوار أبي حنيفة فتى يغشى مجلس ابي حنيفة ، فقال يوما لابي حنيفة ، اني أريد ان اتزوج ابنة فلان وقد خطبتها ، الا انهم قد طلبوا مني من المهر فوق طاقتي ، فقال ، احتل واقترض وادخل عليها ، فان الله تعالى يسهل الامر عليك بعد ذلك ، ثم اقرضه ابو حنيفة ذلك القدر ؛ ثم قال له ، بعد الدخول اظهر انك تريد الخروج من هذا البلد الى بلد بعيد ، وانك تسافر باهلك معك ، فاظهر الرجل ذلك . فاشتد ذلك على اهل المرأة وجاؤا الى ابي حنيفة يشكونه ويستفتونه ، فقال لهم ابو حنيفة ، له ذلك ، فقالوا ،

Scanned by CamScanner

وكيف الطريق الى دفع ذلك ؟ فقال ابو حنيفة : الطريق ان ترضوه بان تردوا عليه ما اخذتموه منه ، فاجابوه اليه ، فذكر ابو حنيفة ذلك للزوج ، فقال الزوج ، فأنا اريد منهم شيئا آخر فوق ذلك ، فقال ابو حنيفة : ايما احب اليك ان ترضى بهذا القدر والا اقرت لرجل بدين فلا تملك المسافرة بها حتى تقضى ما عليها من الدين فقال الرجل الله الله لايسمعوا بهذا فلا آخذ منهم شيئا ورضي بذلك القدر فحصل ببركة علم ابى حنيفة فرج كل واحد من الخصمين « يج » عن الليث بن سعد قال : قال رجل لابى حنيفة : لي ابن ليس بمحمود السيرة اشترى له الجارية بالمال العظيم فيعتقها وازوجه المرأة بالمال العظيم فيطلقها فقال له ابو حنيفة اذهب به معك الى سوق النخاسين فاذا وقعت عينه على جارية فابتعها لنفسك ثم زوجها اياه فان طلقها عادت اليك مملوكة وان اعتقها لم يجز عتقه اياها قال الليث فوالله ما اعجبنى جوابه كما اعجبنى سرعة جوابه « يد » سئل ابو حنيفة عن رجل حلف ليقربن امرأته نهارا فى رمضان فلم يعرف احد وجه الجواب فقال ابو حنيفة يسافر مع امرأته فيطؤها نهارا فى رمضان [1]. « يه » جاء رجل الى الحجاج فقال سرقت لى اربعة آلاف درهم فقال الحجاج من تتهم ؟ فقال لا اتهم احدا قال لعلك اتيت من قبل اهلك ؟ قال سبحان الله امرأتى خير من ذلك قال الحجاج لعطاره اعمل لى طيبا ذكيا ليس له نظير فعمل له الطيب ثم دعا الشيخ فقال ادهن من هذه القارورة ولا تدهن منها غيرك ثم قال الحجاج لحرسه : اقعدوا على ابواب المساجد واراهم الطيب وقال من وجد منه ريح هذا الطيب فخذوه فاذا رجل له وفرة فاخذوه فقال الحجاج من اين لك هذا الدهن ؟ قال اشتريته قال اصدقنى والا قتلتك فصدقه فدعا الشيخ وقال هذا صاحب الاربعة آلاف عليك بامرأتك فاحسن ادبها ، ثم اخذ الاربعة آلاف من الرجل ، وردها الى صاحبها « يو » قال الرشيد يوما لابى يوسف : عند جعفر ابن عيسى جارية هي احب الناس الى وقد عرف ذلك وقد حلف ان لا يبيع ولا يهب ولا يعتق ، وهو الآن يطلب حل يمينه . فقال يهب النصف ويبيع النصف ولا يحنث « يز » قال محمد بن الحسن : كنت نائما ذات ليلة ، فاذا انا بالباب يدق ويقرع فقلت

---

[1] شرط الفقهاء فى السفر المبيح للفطر ان لا يكون الفطر هو مقصود المسافر بسفره كما فى هذه الحالة .

انظروا من ذاك ؟ فقالوا رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحي فقمت ومضيت اليه ، فلما دخلت عليه قال دعوتك في مسألة ، ان ام محمد يعني زبيدة قلت لها انا الامام العدل ، والامام العدل في الجنة ، فقالت لي انك ظالم عاص فقد شهدت لنفسك بالجنة فكفرت بكذبك على الله وحرمت عليك ، فقلت له يا امير المؤمنين اذا وقعت في معصية هل تخاف الله في تلك الحالة او بعدها ، فقال اي والله اخاف خوفا شديدا فقلت انا اشهد ان لك جنتين ، لا جنة واحدة قال تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فلا طفني وامرني بالانصراف فلما رجعت الى داري رأيت البدر متبادرة الى « يح » يحكى ان ابا يوسف اتاه ذات ليلة رسول الرشيد يستعجله ، فخاف ابو يوسف على نفسه ، فلبس ازاره ومشى خائفا الى دار الخليفة ، فلما دخل عليه سلم فرد عليه الجواب وادناه ، فعند ذلك هدأ روعه ، قال الرشيد ان حليا لنا فقد من الدار فاتهمت فيه جارية من جواري الدار الخاصة ، فحلفت لتصدقيني أو لاقتلنك وقد ندمت فاطلب لي وجها ، فقال ابو يوسف : فاذن لي في الدخول عليها فاذن له فرأى جارية كأنها فلقة قمر ، فاخلى المجلس ثم قال لها ، امعك الحلى ؟ فقالت لا والله ، فقال لها احفظيني ما اقول لك ولا تزيدي عليه ولا تنقصي عنه اذا دعاك الخليفة وقال لك اسرقت الحلى فقولي نعم ، فاذا قال لك فهاتها فقولي ما سرقتها ، ثم خرج ابو يوسف الى مجلس الرشيد وامر باحضار الجارية فحضرت ، فقال للخليفة : سلها عن الحلى ، فقال لها الخليفة ، اسرقت الحلى ؟ قالت نعم ، قال لها ، فهاتها ، قالت لم اسرقها والله ، قال ابو يوسف : قد صدقت يا امير المؤمنين في الاقرار او الانكار وخرجت من اليمين ، فسكن غضب الرشيد وأمر ان يحمل الى دار ابي يوسف مائة الف درهم ، فقالوا : ان الخزان غيب فلو اخرنا ذلك الى الغد ، فقال ، ان القاضي اعتقنا الليلة فلا نؤخر صلته الى الغد ، فأمر حتى حمل عشر بدر مع ابي يوسف الى منزله . « يط » قال بشر المريسي للشافعي : كيف تدعى انعقاد الاجماع مع ان اهل المشرق والمغرب لا يمكن معرفة وجود اجماعهم على الشيء الواحد وكانت هذه المناظرة عند الرشيد ، فقال الشافعي : هل تعرف اجماع الناس على خلافة هذا الجالس ؟ فاقر به خوفا وانقطع .

«ك» اعرابي قصد الحسين بن علي رضي الله عنهما، فسلم عليه وسأله حاجة وقال سمعت جدك يقول: اذا سألتم حاجة فاسألوها من احد اربعة: اما عربي شريف، او مولى كريم، او حامل القرآن، او صاحب وجه صبيح فاما العرب فشرفت بجدك، واما الكرم فدأبكم وسيرتكم، واما القرآن ففي بيوتكم نزل، واما الوجه الصبيح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اذا اردتم ان تنظروا الي فانظروا الى الحسن والحسين، فقال الحسين: ما حاجتك؟ فكتبها على الارض، فقال الحسين سمعت ابي عليا يقول قيمة كل امرئ ما يحسنه، وسمعت جدي يقول: المعروف بقدر المعرفة فاسألك عن ثلاث مسائل ان احسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندي وان اجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندي وان اجبت عن الثلاث فلك كل ما عندي وقد حمل الى صرة مختومة من العراق فقال سل ولاحول ولاقوة الا بالله فقال اي الاعمال افضل قال الاعرابي: الايمان بالله. قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله، قال فما يزين المرء قال علم معه حلم قال فان اخطأه ذلك قال فمال معه كرم قال فان اخطأه ذلك قال ففقر معه صبر قال فان اخطأه ذلك قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين ورمى بالصرة اليه.

الشواهد العقلية في فضيلة العلم

اما الشواهد العقلية في فضيلة العلم فنقول، اعلم ان كون العلم صفة شرف وكمال وكون الجهل صفة نقصان امر معلوم للعقلاء بالضرورة ولذلك لو قيل للرجل العالم ياجاهل فانه يتأذى بذلك وان كان يعلم كذب ذلك ولو قيل للرجل الجاهل ياعالم فانه يفرح بذلك وان كان يعلم انه ليس كذلك وكل ذلك دليل على ان العلم شريف لذاته ومحبوب لذاته والجهل نقصان لذاته وايضا فالعلم اينما وجد كان صاحبه محترما معظما حتى ان الحيوان اقوى بكثير من الانسان وكذلك جماعة الرعاة اذا رأوا من جنسهم من كان اوفر عقلا منهم واغزر فضلا فيما هم فيه وبصدده انقادوا له طوعا فالعلماء اذا لم يعاندوا كانوا رؤساء بالطبع على من كان دونهم في العلم ولذلك فان كثيرا ممن كانوا يعاندون النبي صلى الله عليه وسلم قصدوه ليقتلوه فما كان الا ان وقع بصرهم عليه فألقى الله في قلوبهم منه روعة

وهيبة فهابوه وانقادوا له صلى الله عليه وسلم .

وأيضا فلا شك ان الانسان افضل من سائر الحيوانات وليست تلك الفضيلة لقوته وصولته فان كثيرا من الحيوانات يساويه فيها او يزيد عليه فاذن تلك الفضيلة ليست الا لاختصاصه بالمزية النورانية والطيفة الربانية التي لاجلها صار مستعدا لادراك حقائق الاشياء والاطلاع عليها والاشتغال بعبادة الله على ما قال (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وايضا الجاهل كأنه في ظلمة شديدة لا يرى شيئا البتة والعالم كأنه يطير في اقطار الملكوت ويسبح في بحار المعقولات فيطالع الموجود والمعدوم والواجب والممكن والمحال ثم يعرف انقسام الممكن الى الجوهر والعرض والجوهر الى البسيط والمركب ويبالغ في تقسيم كل منها الى انواعها وانواع انواعها واجزائها واجزاء اجزائها والجزء الذي به يشارك غيره والجزء الذي به يمتاز عن غيره حتى يصير عقله كالنسخة التي اثبت فيها جميع المعلومات بتفاصيلها واقسامها فاي سعادة فوق هذه الدرجة ثم انه بعد صيرورته كذلك تصير النفوس الجاهلة عالمة فتصير تلك النفس كالشمس في عالم الارواح وسببا للحياة الابدية لسائر النفوس فانها كانت كاملة ثم صارت مكملة وتصير واسطة بين الله وبين عباده ولهذا قال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره) والمفسرون فسروا هذا الروح بالعلم والقرآن وكما ان البدن بلا روح ميت فاسد فكذا الروح بلا علم ميت ونظيره قوله تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا) فالعلم روح الروح ونور النور ولب اللب ومن خواص هذه السعادة انها تكون باقية آمنة عن الفناء والتغير ، فان التصورات الكلية لا يتطرق اليها الزوال والتغير واذا كانت هذه السعادة في نهاية الجلالة في ذاتها ثم انها باقية ابد الآبدين ودهر الداهرين كانت لا محالة اكمل السعادات وايضا فالانبياء صلوات الله عليهم ما بعثوا الا للدعوة الى الحق قال تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة) الى آخره ، وقال (قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني) ثم خذ من اول الامر فانه سبحانه لما قال (اني جاعل في الارض خليفة) قالت الملائكة (اتجعل فيها من يفسد فيها) قال سبحانه (اني اعلم ما لا تعلمون) فأجابهم سبحانه بأنه لما جعل سائر صفات الجلال من القدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر

والوجود، والقدم، والاستغناء عن المكان والجهة جوابا لهم وموجبا لسكوتهم وانما جعل صفة العلم جوابا لهم وذلك يدل على ان صفات الجلال والكمال وان كانت باسرها فى نهاية الشرف الا ان صفة العلم اشرف من غيرها ثم انه سبحانه انما اظهر فضل آدم عليه السلام بالعلم وذلك يدل ايضا على ان العلم اشرف من غيره ثم انه سبحانه لما اظهر علمه جعله مسجود الملائكة وخليفة العالم السفلى وذلك يدل على ان تلك المنقبة انما استحقها آدم عليه السلام بالعلم ثم ان الملائكة افتخرت بالتسبيح والتقديس والافتخار بهما انما يحصل لو كانا مقرونين بالعلم فانهما ان حصلا بدون العلم كان ذلك نفاقا والنفاق اخس المراتب قال تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار) اوتقليدا والتقليد مذموم فثبت ان تسبيحهم وتقديسهم انما صار موجبا للافتخار ببركة العلم. ثم ان آدم عليه السلام انما وقع عليه اسم المعصية لانه اخطأ فى مسألة واحدة اجتهادية على ما سيأتي بيانه ولاجل هذا الخطأ القليل وقع فيما وقع فيه والشيء كلما كان الخطر فيه اكثر كان اشرف فذلك يدل على غاية جلالة العلم. ثم انه ببركة جلالة العلم لما تاب واناب وترك الاصرار والاستكبار وجد خلعة الاجتباء، ثم انظر الى ابراهيم عليه السلام كيف اشتغل فى اول امره بطلب العلم على ما قال تعالى (فلما جن عليه الليل راى كوكبا) ثم انتقل من الكواكب الى القمر ومن القمر الى الشمس ولم يزل ينتقل بفكره من شيء الى شيء الى ان وصل بالدليل الزاهر والبرهان الباهر الى المقصود واعرض عن الشرك فقال (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) فلما وصل الى هذه الدرجة مدحه الله تعالى باشرف المدائح وعظمه على اتم الوجوه فقال تارة (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) وقال اخرى (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء) ثم انه عليه السلام بعد الفراغ من معرفة المبداء اشتغل بمعرفة المعاد فقال (واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى) ثم لما فرغ من التعلم اشتغل بالتعليم والمحاجة تارة مع ابيه على ما قال (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر) وتارة مع قومه فقال (ما هذه التماثيل التى انتم لها عاكفون) واخرى مع ملك زمانه فقال (الم تر الى الذي حاج ابراهيم فى ربه) وانظر الى صالح وهود وشعيب كيف كان اشتغالهم فى اوائل امورهم واواخرها

بالتعلم والتعليم وارشاد الخلق الى النظر والتفكر فى الدلائل وكذلك احوال موسى عليه السلام مع فرعون وجنوده ووجوه دلائله معه، ثم انظر الى حال سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم كيف من الله عليه بالعلم مرة بعد اخرى فقال (ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلا فأغنى) فقدم الامتنان بالعلم على الامتنان بالمال وقال ايضا (ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان) وقال (ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) ثم انه اول ما اوحى اليه قال (اقرأ باسم ربك) ثم قال (وعلمك مالم تكن تعلم) وهو عليه الصلاة والسلام كان ابدا يقول «ارنا الاشياء كما هي». فلو لم يظهر للانسان مما ذكرنا من الدلائل النقلية والعقلية شرف العلم لاستحال ان يظهر له شيء اصلا وايضا فان الله تعالى سمى العلم فى كتابه بالاسماء الشريفة. فمنها «الحياة» (اومن كان ميتا فاحييناه). وثانيها «الروح» (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا)، وثالثها «النور» (الله نور السموات والارض) وايضا قال تعالى فى صفة طالوت (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) فقدم العلم على الجسم ولا شك ان المقصود من سائر النعم سعادة البدن، فسعادة البدن اشرف من السعادة المالية فاذا كانت السعادة العلمية راجحة على السعادة الجسمانية فاولى ان تكون راجحة على السعادة المالية. وقال يوسف (اجعلنى على خزائن الارض اني حفيظ عليم) ولم يقل انى حسيب نسيب فصيح مليح.

وايضا فان الله تعالى قدم عذاب الجهل على عذاب النار فقال (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم) وقال بعضهم «العلوم مطالعها من ثلاثة اوجه، قلب متفكر، ولسان معبر، وبيان مصور، قال على بن ابي طالب رضي الله عنه «عين العلم من العلو، ولامه من اللطف، وميمه من المروءة» وايضا قيل العلوم عشرة «علم التوحيد للاديان، وعلم السر لرد الشيطان، وعلم المعاشرة للاخوان، وعلم الشريعة للاركان، وعلم النجوم للازمان، وعلم المبارزة للفرسان، وعلم السياسة للسلطان، وعلم الرؤيا للبيان، وعلم الفراسة للبرهان، وعلم الطب للابدان، وعلم الحقيقة للرحمن، وايضا قيل ضرب المثل فى العلم بالماء قوله تعالى (انزل من السماء ماء) والمياه اربعة» ماء المطر، وماء السيل، وماء القناة، وماء العين فكذا العلوم اربعة» علم التوحيد كماء العين لايجوز تحريكه لئلا يتكدر، وكذا

Scanned by CamScanner

لا ينبغي طلب معرفة كيفية الله عز وجل لئلا يحصل الكفر، وعلم الفقه يزداد بالاستنباط كماء القناة يزداد بالحفر، وعلم الزهد كماء المطر ينزل صافيا ويتكدر بغبار الهواء كذلك علم الزهد صاف ويتكدر بالطمع وعلم البدع كماء السيل يميت الاحياء ويهلك الخلق فكذا البدع والله اعلم .

قد تمت هذه الرسالة بعون الله وهدايته وبركاته وهذه الرسالة اكثرها من التفسير الكبير ومفاتيح الغيب للفخر الدين الرازي فان لم اذكر ما أخذها فهو منه وبعضها من اتحاف السادة شرح الاحياء ان اخذت من الاتحاف بينت ان المغطوف منه . جعلها نافعة مباركة لنا ولكم معاشر المطلعين وجعلها سببا لفتوحنا ولكم وهدايتنا وهدايتكم وعلونا وعلوكم والله اعلم بالصواب .

بخط :
محمد محفوظ رضوان السيوطي
محفا

فهرس : وعلّم آدم الأسماء

٢	مقدمة
٢	وعلّم آدم الأسماء .
٤	دلالة الآية .
٥	فضيلة العلم من الكتاب .
٦	فضيلة العلم وفضيلة العالم من الأخبار .
١٠	فضيلة العلم وفضيلة العالم من الآثار .
٢٢	فضيلة التعلّم وفضيلة العالم من الأخبار .
٢٦	فضيلة التعلّم وفضيلة العالم من الآثار .
٢٧	نكت العلم .
٢٩	الحكايات التي تتعلّق بفضيلة العلم والعالم .
٣٥	الشواهد العقلية في فضيلة العلم .
٣٩	تمّت .

Scanned by CamScanner